السؤال الذي وجد مكانا



مدارج



في حصة الأعمال اليدوية، كان يوسف، وهو في السابعة، يثبت جسرا صغيرا من الورق. وخلفه قال ولد لصديقه: «من كان إيمانه قويا لا يسأل: كيف؟»

توقفت يد يوسف. وكان زميلاه في السابعة أيضا.

كان في رأسه سؤال منذ أيام: كيف يحيي الله الناس بعد الموت؟

لم يقله. كتبه في ورقة صغيرة، وطواها مرتين، ثم وضعها في جيبه. بقي السؤال هناك، ولكنه لم يسكن.

عاد إلى لصق الورق، ثم توقف عند القطعة نفسها. كان يتمنى أن يسمع أحد سؤاله بهدوء، بدل أن يحكم عليه من كلمة سمعها في الفصل.



عند المساء، جلس يوسف أمام جسره الورقي. كان يحتاج إلى قطعة واحدة ليكتمل، أما يوسف فلم يمد يده إليها.

سأله أبوه، وكان في الخامسة والثلاثين: «أتعبك الجسر؟»

هز يوسف رأسه، ثم أخرج الورقة المطوية. «إنه سؤال... لكني خفت أن يكون سؤالا سيئا.»

قرأ أبوه الورقة، ولم يضحك، ولم يغضب. قال: «السؤال الذي نريد به الفهم لا ندفنه. نضعه عند شخص موثوق يعلم. وإن لم يعرف، قال: لا أعرف.»

جلس أبوه بجانبه، ووضع الجسر بعيدا عن حافة الطاولة. قال: «نقرأ ورقتك أولا، ثم نميز بين ما سمعته من صاحبك وما تريد أن تفهمه أنت.»



جاء أبوه ببطاقة، ورسم عليها ثلاث خانات:

ماذا سمعت؟

ماذا أريد أن أفهم؟

من أسأل؟

كتب يوسف في الخانة الأولى: «سمعت أن المؤمن لا يسأل كيف.»

وفي الثانية: «أريد أن أفهم كيف يكون سؤالي مع إيماني بأن الله قادر.»

وفي الثالثة: «المعلم نبيل في مكتبة المسجد.»



في اليوم التالي، جلس يوسف وأبوه مع المعلم نبيل، البالغ أربعين سنة. قرأ المعلم البطاقة، ثم قال: «أحسنت حين جعلت سؤالك واضحا. يخبرنا القرآن أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى، وهو مؤمن، ليزداد قلبه طمأنينة. فالسؤال للفهم ليس هو رفض الحق.»

سأل يوسف: «هل نعرف كل التفاصيل؟»

قال المعلم: «نعلم ما أخبرنا الله به: أنه قادر، وأنه يحيي الموتى. أما التفاصيل التي لم يأتنا بها خبر، فلا نخترع لها صورا من عندنا.»



أشار يوسف إلى نبتة صغيرة على النافذة. «والبذرة التي تنبت؟»

قال المعلم: «تذكرنا بقدرة الله وبما نراه من الحياة، لكنها ليست شرحا لكيفية أمر غيبي لم نره. نتعلم من الشاهد، ونقف عند حد ما نعلم.»

فتح يوسف ورقته الصغيرة. لم يمح السؤال، بل كتب تحته: «عرفت ما نؤمن به، وعرفت ما لا ندعي معرفته.»

واحتفظ بالبطاقة داخل دفتره ليعود إليها. لم يكتب جوابا يتظاهر بمعرفته؛ كتب اسم من سأله، وما فهمه منه، وترك مكانا لسؤال آخر يحتاج إلى بيان.



في البيت، وضع القطعة الأخيرة في جسره. ثبت الجسر.

أما السؤال، فلم يختف لأنه خائف؛ بل وجد مكانه الصحيح: كلمات واضحة، وكبير موثوق، وجواب يقول ما نعلم، ويقف عند ما لا نعلم.

مصدر الإلهام وحدوده

هذه قصة معاصرة متخيلة؛ يوسف وأبوه والمعلم وأعمارهم والحوار والجسر من الخيال. مصدر المعنى: مدارج، ليطمئن قلبي — اليقين، صفحتا PDF الفعليتان13 و29، وقد قوبلت صورتاهما. تلخص القصة معنى سؤال إبراهيم عليه السلام في البقرة260 مع التصريح بإيمانه، ولا تنقل الآية بلفظها، ولا تمثل مشهدا من قصته. النص الآخر المختار من شرح المؤلف يدعم الرفق بالسائل؛ ليس تفريغا كاملا للكتاب أو حكما مستقلا على الأسانيد.

النبتة مشهد معاصر للتذكر بما نشاهده، وليست تصويرا لكيفية البعث أو أمر غيبي.

https://madarej.org/wp-content/uploads/2026/10/اليقين-ـ-ليطمئن-قلبي-ـ-ـR13.pdf.pdf#page=13

https://madarej.org/wp-content/uploads/2026/10/اليقين-ـ-ليطمئن-قلبي-ـ-ـR13.pdf.pdf#page=29